مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير

جزء عم

[سُورَةُ: النَّبَأ]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

سُورَةُ عَمَّ مَكِّيَّةٌ، وَتُسَمَّىٰ [سُورَةَ النَّبَأِ]؛ لِأَنَّ فِيهَا الْخَبَرَ الْهَامَّ عَنِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَمِحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ إِثْبَاتِ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ الَّتِي طَالَمَا أَنْكَرَهَا الْمُشْرِكُونَ، وَكَذَّبُوا بِوُقُوعِهَا، وَزَعَمُوا أَنْ لَا بَعْثَ، وَلَا جَزَاءَ وَلَا حِسَابَ!!

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ مَوْضُوعِ الْقِيَامَةِ، وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، هَذَا الْمَوْضُوعُ الَّذِي شَغَلَ أَذْهَانَ الْكَثِيرِينَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، حَتَّىٰ صَارُوا فِيهِ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ أَقَامَتِ الدَّلَائِلَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَىٰ قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ خَلْقِ الْعَجَائِبِ وَالْبَدَائِعِ، لَا يُعْجِزُهُ إِعَادَةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا..﴾، الْآيَاتِ.

* ثُمَّ أَعْقَبَتْ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْبَعْثِ، وَحَدَّدَتْ وَقْتَهُ وَمِيعَادَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِلْحِسَابِ ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ جَهَنَّمَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَبَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْكَافِرِينَ، تَحَدَّثَتْ عَنِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ مِنْ ضُرُوبِ النَّعِيمِ، عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ (التَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَتَمَنَّىٰ الْكَافِرُ أَنْ يَكُونَ تُرَابًا فَلَا يُحْشَرُ وَلَا يُحَاسَبُ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

سُورَةُ النَّبَأِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا: أَرْبَعُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ(١):

﴿عَمَّ﴾: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ، وَأَصْلُهَا «عَنْ مَا»، فَأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ؛ فَصَارَتْ «عَمَّا»، وَحُذِفَتِ الْأَلِفُ تَخْفِيفًا؛ فَصَارَتْ «عَمَّ».

﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الْخَبَرُ الْهَائِلُ.

﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ وَزَجْرٌ.

﴿مِهَٰدًا﴾: أَيْ مُمَهَّدَةً.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أَصْنَافًا؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

﴿سُبَاتًا﴾: رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ.

﴿لِبَاسًا﴾: سَاتِرًا بِسَوَادِهِ وَظَلَامِهِ.

﴿مَعَاشًا﴾: وَقْتًا لِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ.

﴿شِدَادًا﴾: الْمُفْرَدُ: شَدِيدَةٌ، وَالْجَمْعُ: شِدَادٌ، أَيْ: قَوِيَّةً مُحْكَمَةً.

﴿وَهَّاجًا﴾: وَقَّادًا.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٠ - ٥٠١) بتصرف.

www.menhag-un.com

﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السُّحُبِ.

﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنْصَبًّا بِكَثْرَةٍ صَبَّابًا.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ.

﴿أَلْفَافًا﴾: أَيْ مُلْتَفَّةَ الشَّجَرِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أَيْ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ؟!

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ؛ جَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُونَ: مَاذَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ تَسَاؤُلَهُمْ عَنْ مَاذَا؛ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾؟(٢).

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وَالنَّبَأُ: الْخَبَرُ الْهَائِلُ(٣)، قَالَ مُجَاهِدٌ(٤) .....

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٩ - ٣١٣، دار طيبة).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٩)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يَعْنِي: «**الْخَبَرَ الْعَظِيمَ**».

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ٣٠٢، دار طيبة).

(٤) صحيح، ذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَابُ ٣٩)، وأخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٦٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٩).

وَمُجَاهِدٌ، هو: ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم =

www.menhag-un.com

وَالْأَكْثَرُونَ(١): «هُوَ الْقُرْآنُ»، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، فَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِذَنْ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَقَالَ قَتَادَةُ(٢): «هُوَ الْبَعْثُ»(٣).

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: فَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ(٤).

=

المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الوسطىٰ من التابعين، مات سنة اثنتين ومائة، وله ثلاث وثمانون، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ رقم ١٨٠٥)، و«الجرح والتعديل» (٨/ رقم ١٤٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٥٧٨٣)، و«التقريب» (٦٤٨١).

(١) فأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٥٠): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قَالَ: «**الْقُرْآنُ**»، وإسناده صحيح.

وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، وغيرهم.

(٢) هو الحافظ قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقة ثبت، من الطبقة التي تلي الوسطىٰ من التابعين، مات سنة بضع عشرة ومائة، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ رقم ٨٢٧)، و«الجرح والتعديل» (٧/ رقم ٧٥٦)، و«تهذيب الكمال» (٤٨٤٨)، و«التقريب» (٥٥١٨).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٠)، من طريق: سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «**النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ**»، وإسناده صحيح أيضا.

وَهُوَ قَول أَبِي الْعَالِيَة، وَالربيع بن أنس، وابن زيد، وغيرهم.

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، قَالَ: «**مُصَدِّقٌ بِهِ وَمُكَذِّبٌ**».

﴿كَلَّا﴾: وَهِيَ كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: يَقُولُ: سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ حِينَ تَنْكَشِفُ الْأُمُورُ.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَتَوَعَّدُهُمْ بِوَعِيدٍ عَلَىٰ إِثْرِ وَعِيدٍ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ صَنَائِعَهُ؛ لِيَعْلَمُوا تَوْحِيدَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: أَيْ فِرَاشًا(١)، وَغِطَاءً كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ، وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيُنَوَّمُ عَلَيْهِ(٢).

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا تَمِيدَ، وَلَا تَضْطَرِبَ.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أَصْنَافًا؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أَيْ: رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ، وَانْقِطَاعًا عَنِ الْحَرَكَةِ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غِطَاءً، وَغِشَاءً يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظُلْمَتِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: الْمَعَاشُ: الْعَيْشُ، وَكُلُّ مَا يُعَاشُ فِيهِ فَهُوَ مَعَاشٌ، أَيْ: جَعَلْنَا مِنْهَا سَبَبًا لِلْمَعَاشِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْمَصَالِحِ(٣).

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾، أَيْ: «بِسَاطًا».

(٢) «الكشاف» (٤/ ٦٨٥).

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٦٩٤)، والطبري في =

www.menhag-un.com

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: يُرِيدُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ قَوِيَّةً مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: سِرَاجًا: يَعْنِي الشَّمْسَ، وَهَّاجًا: مُضِيئًا مُنِيرًا(١)..

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾:مِنَ الْمُعْصِرَاتِ: يَعْنِي مِنَ السُّحُبِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ(٢).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المُعْصِرَاتُ: «هِيَ الرِّيَاحُ»(٣).

=

«تفسيره» (٢٤/ ١٥٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾، قَالَ: «**يَبْتَغُونَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ**».

(١) ذكر نحوه البخاري معلقا في «صحيحه» (كِتَابُ التفسير، سُورَةُ ٧٨)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٣)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يَقُولُ: «**سِرَاجًا مُنِيرًا**» ، وفي رواية: «**مُضِيئًا**».

وهو قول مجاهد، وقتادة، والثوري، وغيرهم.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، يَقُولُ: «**مِنَ السَّحَابِ**».

وَهُوَ قَول أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطبري.

(٣) أخرجه صالح بن أحمد في «مسائله لأبيه» (٢/ ٥٩ - ٦٠، رقم ٦٠٨، و٦٠٩)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (رقم ٢٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٣)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (رقم ١٠٠٤، و١٠٠٥)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾، قَالَ: «**الرِّيَاحُ**» ، وهو صحيح عنه أيضا.

وهو قول عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ.

www.manhag.com

وَالرَّاجِحُ: أَنَّهَا السُّحُبُ تَنْعَصِرُ بِالْمَاءِ، وَلَمْ تُمْطِرْ بَعْدُ(١).

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: أَيْ صَبَّابًا مُتَتَابِعًا يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضًا(٢).

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾: لِنُخْرِجَ بِهِ: أَيْ بِذَلِكَ الْمَاءِ حَبًّا، وَهُوَ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ.

وَنَبَاتًا: مَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ مِمَّا تَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾: وَبَسَاتِينَ مُلْتَفَّةَ الشَّجَرِ.

❁ ❁ ❁

(١) وهو قول الْفَرَّاءُ، ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ١٢).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٥)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ: «مَاءً مِنَ السَّمَاءِ مُنْصَبًّا»، وهو صحيح عنه. وهو قول مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: «مُتَتَابِعًا».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ تَسَاؤُلَهُمْ عَنِ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِهِ، وَغَدَوْا فِيهِ وَصَارُوا فِيهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، مُنْكِرٍ لَهُ أَوْ شَاكٍّ فِي أَمْرِهِ.

ثُمَّ تَهَدَّدَهُمْ سُبْحَانَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِمَا يَحُلُّ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأُعِيدَتِ الْآيَةُ بِـ«ثُمَّ»؛ لِتَأْكِيدِ وُقُوعِ مَا كَذَّبُوهُ وَأَنْكَرُوهُ، وَسَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَمَا تَتَكَشَّفُ الْأُمُورُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ، وَالَّتِي يُسْتَنْتَجُ مِنْهَا أَنَّ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ إِيجَادِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ فَهُوَ عَلَىٰ الْإِعَادَةِ وَالْبَعْثِ أَقْدَرُ.

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ مُمَهَّدَةً، يُقِيمُ عَلَيْهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ قَارَّةٌ سَاكِنَةٌ، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ؛ لِئَلَّا تَضْطَرِبَ.

وَجَعَلَ مِنَ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلَ النَّوْمَ رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ مِنَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَاتِرًا لِلْعِبَادِ بِظَلَامِهِ، وَعَلَىٰ عَكْسِهِ النَّهَارَ، جَعَلَهُ مُبْصِرًا نَيِّرًا؛ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ التَّكَسُّبِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ.

www.menhag-ur.com

وَخَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مُحْكَمَةٍ، مُتْقَنَةِ الْخَلْقِ، لَيْسَ فِيهَا شُقُوقٌ وَلَا فُطُورٌ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ مُضِيئَةً مُنِيرَةً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا كَثِيرًا مُتَتَابِعًا؛ لِيُخْرِجَ بِهِ أَنْوَاعَ الْحُبُوبِ وَالْأَعْشَابِ، وَلِيُخْرِجَ بِهِ الْبَسَاتِينَ النَّاضِرَةَ، وَالْحَدَائِقَ الزَّاهِرَةَ الَّتِي فِيهَا مِنْ جَمِيعِ الثِّمَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَحَصَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْفَوَائِدِ إِذَا مَا أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي الْآيَاتِ، وَمِنْ تِلْكَ الْفَوَائِدِ:

١- مَظَاهِرُ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ فِي كُلِّ الْآيَاتِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا مَا بَيْنَ مُثْبِتٍ وَنَافٍ، وَمُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ.

٣- وَمِنْهَا: أَنَّهُ سَيَحْصُلُ الْعِلْمُ الْكَامِلُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ سَاعَةَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْعِلْمِ سَاعَتَهَا؛ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَانْتَهَىٰ الْخِلَافُ[1].

٤- وَنَسْتَفِيدُ وُجُوبَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥- وَنَسْتَفِيدُ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ أَوْ شَكَّ فِي أَمْرِهِ؛ فَقَدْ لَحِقَهُ -كَمَا فِي الْآيَاتِ- تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٢).

www.menhag-un.com

٦- وَنَسْتَفِيدُ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ امْتَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِتَعْدَادِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلِيَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ؛ شُكْرًا لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عِبَادَهُ -وَهِيَ مِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ ﷻ- دَاعِيَةٌ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

فَمَا ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ آيَاتِ الْقُدْرَةِ -وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ دَلَائِلِ تَفَرُّدِهِ ﷻ بِالْخَلْقِ وَبِالْمُلْكِ وَبِالتَّدْبِيرِ- كُلُّهَا تَسُوقُ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَذْكُرُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَاهُنَا؛ لِكَيْ يَكُونَ سَائِقًا وَدَافِعًا إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ، إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَعِبَادَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ١٧ إلى: ٢٠

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿مِيقَٰتًا﴾: أَيْ وَقْتًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿أَفْوَاجًا﴾: جَمَاعَاتٍ.

﴿سَرَابًا﴾: السَّرَابُ: هَبَاءٌ، وَهُوَ شُعَاعٌ يَرَاهُ الرَّائِي فِي شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ، فَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ لَا يَرَىٰ شَيْئًا.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾: الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَفْصِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ؛ لِيُجْزَىٰ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ.

﴿مِيقَٰتًا﴾: وَقْتًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ(١)، كَانَ ذَا وَقْتٍ مُحَدَّدٍ مُعَيَّنٍ لَدَىٰ اللهِ ﷻ، فَلَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾:

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أَيْ: يَوْمَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الْبُوقِ، فِي الصُّورِ.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: تَأْتُونَ أَيُّهَا النَّاسُ جَمَاعَاتٍ، جَمَاعَاتٍ إِلَىٰ سَاحَةِ فَصْلِ الْقَضَاءِ.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ؛ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، فَكَانَتْ أَبْوَابًا.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قَوْله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾، قال: «هُوَ يَوْمٌ عَظَّمَهُ اللهُ يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِأَعْمَالِهِمْ».

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ: أَيْ ذُهِبَ بِهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، فَكَانَتْ سَرَابًا: مِثْلَ السَّرَابِ، يَتَرَاءَىٰ مَاءً وَلَيْسَ بِمَاءٍ، فَكَذَلِكَ الْجِبَالُ(١).

❁ ❁ ❁

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٣).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

فَبَعْدَ أَنْ وَجَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْظَارَ الْعِبَادِ إِلَىٰ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ مُسْتَدِلًّا بِهَا عَلَىٰ الْبَعْثِ؛ أَخْبَرَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَتَسَاءَلُ عَنْهُ الْمُكَذِّبُونَ أَنَّهُ يَوْمٌ عَظِيمٌ.

وَأَخْبَرَ ﷻ أَنَّ لَهُ وَقْتًا مُحَدَّدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ لِلْبَعْثِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ؛ حَيْثُ يَأْتِي النَّاسُ إِلَىٰ مَوْضِعِ الْعَرْضِ زُمَرًا، كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، وَحَيْثُ تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ فَتَكُونُ طُرُقًا وَمَسَالِكَ؛ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَصِيرُ السَّمَاءُ ذَاتَ أَبْوَابٍ، وَتُزَحْزَحُ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، فَلَا يَكُونُ لَهَا ثَبَاتٌ، بَلْ تَكُونُ كَالسَّرَابِ، يَرَاهُ الرَّائِي مِنْ بُعْدٍ، فَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ لَا يَرَىٰ شَيْئًا.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

١ - الْإِيمَانُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْحِسَابِ.

٢ - الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عِظَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشِدَّةِ أَهْوَالِهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ٢١ إلى: ٣٦

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَئَابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿مِرْصَادًا﴾: مَوْضِعًا لِلرَّصْدِ.

﴿مَئَابًا﴾: مَرْجِعًا.

﴿لَّٰبِثِينَ﴾: مُقِيمِينَ.

﴿أَحْقَابًا﴾: مُدَدًا طَوِيلَةً.

﴿حَمِيمًا﴾: مَاءً حَارًّا.

﴿وَغَسَّاقًا﴾: قَيْحًا وَصَدِيدًا.

﴿وِفَاقًا﴾: مُوَافِقًا لِعَمَلِهِمْ.

﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضَبَطْنَاهُ.

﴿مَفَازًا﴾: نَجَاةً.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جَمْعُ كَاعِبٍ، وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي اسْتَدَارَ ثَدْيُهَا.

﴿أَتْرَابًا﴾: مُسْتَوِيَاتٍ فِي الْعُمُرِ.

﴿دِهَاقًا﴾: مُمْتَلِئَةً مُتْرَعَةً.

جامعة منهاج النبوة www.menhag-un.com

﴿لَغْوًا﴾: بَاطِلًا.

﴿حِسَابًا﴾: كَثِيرًا وَافِيًا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أَيْ رَاصِدَةً لَهُمْ، وَمُرْصَدَةً لِلظَّالِمِينَ، مَرْجِعًا يُرْجَعُونَ إِلَيْهَا.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: دُهُورًا لَا نِهَايَةَ لَهَا.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ﴿بَرْدًا﴾: نَوْمًا، وَلَا ﴿شَرَابًا﴾: مِمَّا يَشْرَبُ النَّاسُ تَلَذُّذًا بِهِ؛ لِأَنَّ لَهُمْ شَرَابًا فِي النَّارِ وَهُوَ الْحَمِيمُ، فَإِذَنْ ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يَعْنِي وَلَا شَرَابًا مِمَّا يُشْرَبُ تَلَذُّذًا بِهِ، إِذْ شَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾: وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ الَّذِي بَلَغَ فِي الْحَرَارَةِ مُنْتَهَاهُ.

وَالْغَسَّاقُ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: لِأَنَّهُ لَا ذَنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا عَذَابَ أَعْظَمُ مِنَ النَّارِ، فَوَافَقَ الْجَزَاءُ الْعَمَلَ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، فَقَدْ جَاءُوا بِأَعْظَمِ ذَنْبٍ، فَلَقَوْا أَشَدَّ الْعَذَابِ وَأَعْظَمَهُ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أَيْ تَكْذِيبًا.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: أَيْ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: إِنَّ لِلَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ، وَوَحَّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَعَبَدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ لَهُمْ مَكَانُ فَوْزٍ وَنَجَاةٍ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾: أَيْ بَسَاتِينَ وَأَعْنَابًا.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾: وَكَوَاعِبَ: أَيْ شَابَّاتٍ تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ، وَالْوَاحِدَةُ كَاعِبٌ، وَالْجَمْعُ: كَوَاعِبُ.

﴿أَتْرَابًا﴾: أَيْ فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، وَمُفْرَدُهَا: تِرْبٌ.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أَيْ مَلْأَىٰ مُتْرَعَةً.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾:

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: أَيْ فِي الْجَنَّةِ.

﴿لَغْوًا﴾: أَيْ بَاطِلًا وَكَذِبًا مِنَ الْقَوْلِ ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أَيْ عَطَاءً كَثِيرًا كَافِيًا[1].

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٣ - ٥٠٥).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْفَصْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ؛ ذَكَرَ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمُرُورِ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا هَيَّأَهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ النَّعِيمِ.

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ النَّارَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِ اللهِ، وَسَيَمْكُثُونَ فِيهَا دُهُورًا طَوِيلَةً، كُلَّمَا انْقَضَىٰ زَمَنٌ تَجَدَّدَ لَهُمْ زَمَنٌ آخَرُ، وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ طُوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَا يُبْرِدُ جُلُودَهُمْ وَلَا مَا يَدْفَعُ ظَمَأَهُمْ -أَيْ: عَطَشَهُمْ-، لَا يَجِدُونَ لِذَلِكَ إِلَّا مَاءً حَارًّا يَشْوِي وُجُوهَهُمْ، وَصَدِيدًا فِي غَايَةِ النَّتَنِ وَكَرَاهَةِ الْمَذَاقِ.

وَهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ هُوَ وَفْقَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرُسُلِهِ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَخَافُونَ أَنْ يُحَاسَبُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ دَارٍ يُجْزَوْنَ فِيهَا عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِمْ، فَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَيُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ.

وَقَدْ أَحْصَىٰ اللهُ كُلَّ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَكَتَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ؛ تَيْئِيسًا لَهُمْ مِنَ انْقِطَاعِ الْعَذَابِ، وَإِخْبَارًا لَهُمْ بِالزِّيَادَةِ مِنْهُ أَلْوَانًا: ﴿فَذُوقُواْ﴾: مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ. فَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ يَزْدَادُ عَذَابُهُمْ.

وَبِمَا أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ مُعَدٌّ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ وَخَالَفَ الْأَوَامِرَ الشَّرْعِيَّةَ، فَإِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ وَيَنْقَادَ لِأَوَامِرِ الشَّرْعِ؛ لِيَفُوزَ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ.

فَقَدْ أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَآلَ الْمُتَّقِينَ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُمْ مَفَازًا وَبُعْدًا عَنِ النَّارِ، وَأَنَّ لَهُمْ بَسَاتِينَ فِيهَا أَصْنَافُ الْأَشْجَارِ الزَّاهِيَةِ الْمُثْمِرَةِ، وَلَهُمْ زَوْجَاتٌ نَوَاهِدُ الثَّدْيَيْنِ فِي غَايَةِ الشَّبَابِ وَالْفُتُوَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّضَارَةِ وَالْحُسْنِ عَلَىٰ سِنٍّ مُتَقَارِبٍ.

وَلَهُمْ كَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ مَلْأَىٰ مُتَتَابِعَةٌ، وَمَعَ هَذَا الشَّرَابِ لَا تَتَغَيَّرُ عُقُولُهُمْ فَيَحْدُثُ مِنْهُمْ مَا يَحْدُثُ مِنَ الشَّارِبِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَتَكْذِيبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَيْسَ فِي خَمْرِ الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَعْطَاهُمُ اللهُ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَفَّقَهُمْ لَهَا سُبْحَانَهُ.

www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

١ - شِدَّةُ عَذَابِ مَنْ طَغَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحِسَابِ، وَأَنَّ مَآلَهُ جَهَنَّمُ.

٢ - الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الْحُسْنَىٰ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

٣ - سَعَةُ عِلْمِ اللهِ، وَإِحَاطَتُهُ بِجَمِيعِ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَلَا مِمَّا يَدُورُ فِي صُدُورِهِمْ، وَيَعْتَمِلُ فِي عُقُولِهِمْ.

٤ - وَعَدَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ وَالنَّعِيمِ.

٥ - وَيُسْتَفَادُ أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَعْتَرِيهِ مَا يَحْصُلُ لِشَارِبِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَاللَّغْوِ وَنَحْوِهِ.

فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَاقِبَةَ الْمُتَّقِينَ، كَمَا ذَكَرَ قَبْلُ عَاقِبَةَ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ، وَإِذَا قَارَنْتَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ، بَيْنَ مَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَكَذَّبُوا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ، إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ فِي حَالِهِمْ كَمَا وَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طَرَفًا مِنْ عَذَابِهِمْ وَمِنْ بَلَائِهِمْ وَمِنْ عَنَائِهِمْ، ثُمَّ تَأَمَّلْتَ مَا فِيهِ أَهْلُ

النَّعِيمِ فِي جَنَّاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَعَ مَا يَسْعَدُونَ بِهِ مِنَ الْمَلَذَّاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، إِذَا تَأَمَّلْتَ الصُّورَتَيْنِ؛ عَرَفْتَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ.

وَعَلِمْتَ أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا حَقًّا، مُوَحِّدًا صِدْقًا، عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مُخْلِصًا الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مُبْتَعِدًا عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْصِي عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ٣٧ إلى: (٤٠) نهاية السورة

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ٤٠﴾.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلرُّوحُ﴾: جِبْرِيلُ.

﴿صَفًّا﴾: مُصْطَفِّينَ صُفُوفًا.

﴿صَوَابًا﴾: قَوْلًا صَحِيحًا.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: الْيَوْمُ الْمُحَقَّقُ، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: أَيْ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمُحَقَّقُ، مُحَقَّقٌ وُقُوعُهُ لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿مَـَٔابًا﴾: أَيْ مَرْجِعًا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَبْتَدِءُوا الْكَلَامَ مَعَهُ إِلَّا مَتَىٰ أَذِنَ لَهُمْ، وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: وَالرُّوحُ جِبْرِيلُ (١) عليه السلام، وَقِيلَ: مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُكْرَّمِينَ يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفًّا وَحْدَهُ(٢)، ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مَرْجِعًا سَلِيمًا، وَطَرِيقًا مُسْتَقِيمًا، وَذَلِكَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٦)، وأبو الشيخ اصبهاني في «العظمة» (رقم ٣٥٣ و٤١٤)، بإسناد صحيح، عَنِ الضَّحَّاكِ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾، قَالَ: «جِبْرِيلُ عليه السلام».
وهو قول سعيد بن جبير، والشعبي أيضا، «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٧٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٩).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٥ و١٧٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (رقم ٤١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ رقم ٧٨٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، قَالَ: «**هُوَ مَلَكٌ أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا**».
وهو قول ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾: مَا أَسْلَفَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾: أَيْ حَتَّىٰ لَا أُعَذَّبَ، وَذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْبَهَائِمِ: كُونِي تُرَابًا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا.

حَتَّىٰ إِنَّهُ يَبْعَثُ ﷻ الْخَلَائِقَ، وَيُؤْتَىٰ بِالشَّاةِ الْقَرْنَاءِ وَالشَّاةِ الْجَلْحَاءِ الَّتِي لَا قُرُونَ لَهَا، وَتَكُونُ الْقَرْنَاءُ قَدْ نَطَحَتْ تِلْكَ الْجَلْحَاءَ فِي الدُّنْيَا، فَيَبْعَثُهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ جَمِيعًا، وَيُنْشِئُ لِلْجَلْحَاءِ قَرْنَيْنِ؛ لِكَيْ تَقْتَصَّ مِنَ الَّتِي قَدْ ظَلَمَتْهَا أَوْ نَطَحَتْهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِهَذِهِ: كُونِي تُرَابًا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[1]،.....

(١) أخرجه إسحاق بن راهوية في «مسنده» (رقم ١٠)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (رقم ١٨٠) وفي مواضع أخرىٰ مختصرا ومطولا، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٧، ترجمة ١٧١٤)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (رقم ٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم ٣٨٦)، وغيرهم، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا»**،...الحديث.

وهو حديث الصور، حسن هذا اللفظ بشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٩٦٦).

=

حِينَئِذٍ وَحِينَمَا يَرَىٰ الْكَافِرُ هَذَا، يَقُولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا﴾؛ حَتَّىٰ لَا يُعَذَّبَ(١).

❁ ❁ ❁

=

وهذا اللفظ أصله في «صحيح مسلم» في (كتاب البر والصلة، باب ١٥: ٩، رقم الحديث ٢٥٨٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**».

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٥).

جامعة منهاج النبوة www.menhaj-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُتَّقِينَ، وَمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعَطَايَا الْعَظِيمَةِ أَخْبَرَ عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِشُئُونِهِمْ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ مُخَاطَبَتِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ، وَتَقُومُ الْمَلَائِكَةُ مُصْطَفِّينَ صُفُوفًا، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَأَنْ يَكُونَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَوَابًا.

ثُمَّ نَوَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِي وُقُوعِهِ، فَهُوَ الْيَوْمُ الْحَقُّ الْمُتَحَقَّقُ الْوُقُوعُ، فَمَنْ شَاءَ الْأَمْنَ فِيهِ -وَهُوَ يَوْمُ الْفَزَعِ- فَلْيَتَّخِذْ وَسِيلَةً بِطَاعَةِ اللهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيَنَالُ بِهِ الْأَمْنَ مِنْ عَذَابِهِ.

ثُمَّ عَادَ سُبْحَانَهُ لِتَخْوِيفِ الْكُفَّارِ وَإِنْذَارِهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّا حَذَّرْنَاكُمْ -وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا فِي دَارِ الْعَمَلِ- مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَرِيبٌ لِتَأَكُّدِ وُقُوعِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِذَلِكَ هُوَ اللهُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

عِنْدَمَا يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَسَيِّئَةٍ وَمَا صَنَعَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَسْتَبْشِرُ الْمُؤْمِنُ بِوَعْدِ اللهِ لَهُ عَلَىٰ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَيَوَدُّ حِينَ يَرَىٰ الْعَذَابَ، وَحِينَ يَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ قَدْ سُطِرَتْ عَلَيْهِ يَوَدُّ أَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا تُرَابًا وَلَمْ يُخْلَقْ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَىٰ الْوُجُودِ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَذْكُرُ ذَلِكَ، لَا لِأَنَّهُمْ يُنَازِعُونَ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ يَذْكُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ؛ لِكَيْ يَلْفِتَ أَنْظَارَهُمْ إِلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ هَذَا وَالَّذِي خَلَقَهُ، وَالَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

فَفِي الْآيَاتِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ سَائِقٌ إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ ثُبُوتُ الشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَابُدَّ مِنْ إِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَنِ ارْتَضَىٰ فِيمَنْ عَنْهُ رَضِيَ، فَهِيَ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ مُتَوَفِّرَةً فِي الشَّفَاعَةِ، وَالشَّفَاعَةُ: طَلَبُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَبْعَثُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ الْخَلَائِقَ لِلْحِسَابِ، وَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ مُصْطَفِّينَ فِيهِ صُفُوفًا كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَعْدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِالنَّجَاةِ وَالْأَمْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

www.menhaj-un.com

فَمَا أَحْرَىٰ الْمُسْلِمَ وَمَا أَجْدَرَهُ عَلَىٰ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَسْطُورَةِ، فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ! يَتَأَمَّلُ فِيهَا حِينًا بَعْدَ حِينٍ، يَحْفَظُهَا وَيَتَدَبَّرُهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ نَعَىٰ عَلَىٰ أَقْوَامٍ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: ٢٤].

فَهُمَا اثْنَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، إِمَّا مُتَدَبِّرٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ قُفْلٌ؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، فَهُمَا صِنْفَانِ: مُتَدَبِّرٌ لِآيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَنَاظِرٌ فِيهَا، وَمُتَأَمِّلٌ فِي مَعَانِيهَا، وَمُسْتَخْلِصٌ لِلْعِبْرَةِ الَّتِي فِيهَا، يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِيمَانًا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبِكِتَابِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ، وَيَزِيدُهُ عَمَلًا بِشَرْعِ رَبِّهِ، وَتَمَسُّكًا بِتَطْبِيقِهِ وَالْأَخْذِ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ قُفْلٌ، فَهُوَ يَقْرَأُ كَلَامَ اللهِ -إِنْ قَرَأَهُ- أَوْ يَسْمَعُهُ -إِنْ سَمِعَهُ- وَلَا يَخْلُصُ إِلَىٰ قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ يُكْثِرُونَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ حَقَّ التَّفَكُّرِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ فِيهِ حَقَّ التَّدَبُّرِ، وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ صِفَةَ الْخَوَارِجِ؛ أَنَّهُمْ «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»(١)، وَالتَّرَاقِي جَمْعُ تَرْقُوَةٍ، وَهِيَ تِلْكَ الْعَظْمَةُ الْمُسْتَعْرَضَةُ فِي أَعْلَى الْبَدَنِ مِنْ أَصْلِ الرَّقَبَةِ إِلَىٰ الْكَتِفِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٦: ٢، رقم الحديث ٣٣٤٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الزكاة، باب ٤٧: ٣، رقم الحديث ١٠٦٤)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً عَظِيمَةً كَثِيرَةً، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- يَحْقِرُونَ تِلَاوَتَهُمْ مَعَ تِلَاوَتِهِمْ، لَا يَعُدُّونَ تِلَاوَتَهُمْ شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ تِلَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْقُرْآنُ لَا يُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَا يَنْفُذُ إِلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ حُجِبُوا بِالْبِدْعَةِ الَّتِي طَمَسَتْ أَعْيُنَ بَصَائِرِهِمْ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ.

فَهَذِهِ السُّورَةُ -كَمَا تَرَىٰ- ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا يَوْمَ الْبَعْثِ، وَدَلَّلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقُدْرَتِهِ وَآثَارِهَا اللَّائِحَةِ لِكُلِّ نَاظِرٍ عَلَىٰ مَا سَيَكُونُ، وَأَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْجَزَاءِ لِلْمُحْسِنِينَ الْمُتَّقِينَ وَلِلْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com